

الابتلاء برسول الله ونظرية الفراشة !

الابتلاء برسول الله ونظرية الفراشة!

متى يعرف المسلمون أن الكفر أخلاقي وليس علمياً؛ اي نتيجة كبر وجحود وعناد؛ وليس نتيجة جهل؟!

متى يعرف المسلمون أن الكفر أخلاقي وليس علمياً؛ اي نتيجة كبر وجحود وعناد؛ وليس نتيجة جهل؟!

راقبوا قلوبكم قبل معلوماتكم

أعطى الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه وآله، خصائص كبرى ليميز به أهل التواضع والتسليم من أهل الكبر والجحود .. سنة الله في الابتلاء والتمحيص والفتنة لا تتوقف، بل هي سنة إلهية مستمرة ودائمة، يختبر بها الكفار والمنافقين والمسلمين على حد سواء. وسنة الله تهدف للفرز، تمييز الخبيث من الطيب، فالمؤمن المتواضع الصادق يقر ويسلم ولا يجد في نفسه حرجاً؛ لا من حكم ولا خصيصة ولا ميزة لرسول الله؛ وأما المتكبر والمعاند والحاسد - كافراً أو مسلماً - فيؤلمه ما يفرض الله لرسوله من خصائص، أثبتها الله في كتابه وابتلى خلقه بها، ليميزهم ويفتتهم. فمثلاً انظروا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } (٢) { [الحجرات]؛ هنا يأتي المتكبر والحاسد ويقول: ما هذا؟ هل لمجرد رفع الصوت فوق صوت النبي يحبط الله أعمالي؟ من هو محمد حتى يحبط الله أعمالي لأجل رفع صوتي؟ ثم يبدأ يشك - لكبره ولجهله - بسنن الله؛ المتكبر والحاسد ينسى أن الله قد لعن إبليس وطرده من الجنة لرفضه السجود لآدم، والسجود لآدم أبلغ من خفض الصوت عند محمد.

المتكبر لا يتعلم! المتكبر لا يتعلم سنن الله وقوانينه في اختبار هذا الإنسان؛ المتكبر لا يعلم أن الله لا يهدي المتكبرين؛ أن الكبر هو أسوأ الأخلاق على الإطلاق.

أبغض الأخلاق عند الله هو الكبر (وفروعه من حسد وغرور وتعالٍ الخ)؛ الله له طريقته في تمحيص خلقه؛ لست أنت من يقترح على الله كيف يختبرهم ويميزهم؛ وأهل الكبر تجدهم إلى اليوم لا يعرفون سنن الله؛ لا يدرون ما هي؛ لا يعلمون ما معنى الابتلاء والتمحيص والفتنة والاستدراج والمكر بالماكرين .. الخ؛ سنة الله الدائمة والمستمرة هي الابتلاء وفروعها؛ من تمحيص وتمييز لاختيار النوعية؛ الله ليس مثلكم يحتاج الجمع والجمهرة والكثرة؛ كلا؛ الله هو الغني؛ نعم؛ الله قد يحبط من يرفع صوته فوق صوت النبي؛ لماذا؟

أولاً: لأنه شرع ذلك ويجب عليك التسليم والامتثال والرضا؛ بل والحب لما شرعه، وإلا فأنت متكبر.

ثانياً: لأن هذه هي سنة الله في التمحيص من بدء خلق آدم إلى آخر نبي من أنبيائه، الله يريد منك خلاصتك (قلبك)، لا يحرص على صورتك ولا مظهرك .. فانتبه!

ثالثاً: أن رفع الصوت فوق صوت النبي هو جرأة مبكرة على التفلت من التسليم؛ نفثة شيطانية لشق طريق إلى الله دون الحاجة لمحمد صلوات الله عليه وآله.

رابعاً: إظهار التقدم والعلو في وجود محمد إشعار للوفود بالأهلية بعده، فإذا حصل لمحمد موت فهذا الذي كان يتقدم بين يديه ويرفع صوته هو المؤهل! فالوفود عندما يفدون على النبي ويررون من يراجع القول ويرفع صوته فوقه، ستقول تلك الوفود، ما أعظم فلان وأعلمه وأجرأه، فهو كالنبي؛ وربما أولى. فالرافعون أصواتهم كأنهم يهينون لأنفسهم لوفود القبائل بأننا أولى بآرثه ودينه، ألا تذكرون عندما كنا بين يديه، نأمر وننهى ونقترح ونرفع أصواتنا؟ فالعقوبة الشديدة (إحباط الأعمال) ليس على مجرد رفع صوت بحسن نية، إنما خلفه كبر وتعالٍ وتهينة وإشعار للغريب بأن الأمر لنا حتى في وجود محمد!

والرافع للصوت فوق صوت النبي فيه استخفاف به وتقدم بين يديه ومنة على الله ورسوله بأنهم قد أسلموا وآمنوا، وبهذا يحق لهم التقدم ورفع الصوت .. الخ؛ هنا يقول الله أنه سيحبط أعمالهم إن عادوا لمثل هذه الصفة (التقدم ورفع الصوت)؛ وأنه لا أحد يمين على الله ورسوله بإسلام، فالمنة لله ورسوله؛ لا لهم؛ كأن الله يقول: سأعطي النبي هذه الخصائص، فإن كبرت في نفوسكم ونفستم على رسول الله هذا فاكفروا، فالله لا يترجى أحداً ولا يخشى من كفره وردته. لا يحب الله منك - إن آمنت - أن تمن بهذا؛ ولا أن تشعر بأنك قد جزت القنطرة؛ ولا أنه يحق لك أن تتكبر وتحسد وتتعالي؛ فأنت الفقير إلى الله وهو الغني.. يريد الله منك الخضوع التام له؛ الاستسلام العميق لما يحب؛ الطاعة المطلقة له؛ الحب لكل أوامره؛ مهما بدت لك غريبة في

الوهلة الأولى.

اتهم نفسك وتعلم؛ لو أمرك الله أن تسجد للنبي فاسجد؛ إذا أمرك أن تغض صوتك فغض؛ إذا أمرك أن ترضى بما وهبه لنبيه من خصائص فاقبل؛ الله يختبرك ويمحص ما في قلبك؛ لا تمن على الله بسابقة ولا هجرة ولا نصرة ولا إنفاق ولا جهاد؛ أنت تبقى الفقير إلى الله؛ المقصر في طاعته؛ المستشرف لما وراء ذلك من دنيا فانية؛ لا تعتمد على مدح الناس لك ولا ثنائهم عليك ولا طمأننتهم لك **﴿مَوَاعِلُكُمْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾**!

راقب الله؛ أنت لا تعرف كيف يختبرك الله ولا كيف يمحصك قلبك بمثل هذه الخصائص لأنبيائه؛ ركز على قلبك فهو خلاصتك، وبه نجاتك (إلا من أتى الله بقلب سليم)؛ وعلى نمط أمر الله لإبليس والملائكة بالسجود لآدم تتكرر سنة الله مع الأنبياء وأقوامهم حتى تصل سنته إلى النبي وقومه، فاسمعوا هذه الآيات: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤) .**

هنا قد يقول المتكبر؛ ولماذا أذهب إلى رسول الله؟ ولماذا يربطنا الله بطاعته؟ لماذا لا نطيع الله مباشرة دون المرور على أحد من الخلق؟ أليس هذا هو التوحيد؟ أليس الله قريب يجيب دعوة الداع؟ الخ؛ وهكذا يروض الله المؤمنين للاستسلام لعبادته من حيث يريد هو وليس من حيث نريد نحن، وهذا ما لم يفهمه المنافقون والمتكبرون، ولن يفهموه؛ وربما ستدفعهم هذه الخصائص للكفر بالنبوة كما دفعت إبليس للكفر بالله، وهذا ما يريده الله بالضبط، لا يريدك أن تأتيه ممتناً عليه، كفره أولى، إذهب..

ثم يزيد الله في ترويض هذه القلوب المعقدة بمزيد من الخصائص فيقول **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾** - ليس هذا فقط: بل - **﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) [النساء]**؛ وأنت آمن أو أكفر! المتكبر يقول: إلى هذا الحد؟

الجواب: نعم؛ إلى هذا الحد، أو أكفر، خذ راحتك؛ قد قالها إبليس قلبك، بمعناها (إلى هذا الحد أسجد لآدم)؟ فتذكر! يجب أن تعلم أن الله لن يتركك هكذا؛ تدعي الإيمان المجاني بتعال؛ سيبقى يعطي رسوله من الخصائص والمزايا حتى يختبرك؛ هل أنت صادق في إيمانك أم كاذب؟ ثم؛ لو التزم المسلمون بهذا الأوامر والترويضات الإلهية؛ لما كان هذا الخراب. الله أكبر من أن يعلمك مهندس - مثلاً - ويطلب منك التقيد التام بتعليماته؛ معلمك في الهندسة أو الطب؛ عندما يقول لك؛ اطعني طاعة مطلقة واسمع وسأعلمك لاحقاً أن هذا في صالحك، فستسمع بكل تسليم؛ فما بالك لا تعطي الله ذلك؟ هذه المناكفة لله ورسوله امتاز بها بنو إسرائيل - ونحن على نهجهم - أي السؤال عن الأمر وعن علله ونتائجه قبل التسليم به؛ هذا السلوك يبغضه الله. وبعض المسلمين استمروا في رفع أصواتهم فوق صوت النبي والتقدم عليه حتى بعد نزول الآية، فياليت شعري؛ هل حبطت أعمالهم أم لا؟

علمهم عند الله. إلا أنني أجزم أن هذه الممانعة لله ورسوله لن تجلب للمسلمين إلا فساداً للمعرفة وتعطيلاً للكتاب وكذباً على الشرع وفضائح أبدية لن يغسلها التاريخ؛ الأمور بأوانلها؛ ومن يعرف (نظرية الفراشة) سيعلم أن ما نحن فيه من تخلف وجعل ونزاع أبدي، لم يكن بسبب الله ورسوله وكتابه، إنما من هذه الفراشات! إنه العناد والكبر والتقدم بين يدي الله ورسوله ورفع الأصوات فوق النبي؛ من آمال القطار عن سكة الحديد قد يرى هذا الأمر هيناً؛ ولا يعلم النتائج بعد.. هذه المكانة لرسول الله ليس المقصود بها رسول الله فقط - مع استحقاقه لكل الخصائص والمزايا - لكنه الهدف منها أيضاً ترويضك أنت حتى تسمع لله وتطيع؛ فلا تنفس على رسول الله طاعة ولا خصائص ولا مزايا ولا خمس ولا فيء ولا زواج بتسع؛ فإن هذه - لو دقت فيها - لوجدت أنها ليست كما يصورها لك الشيطان. ولا أريد استعراض الخمس وأين كان النبي ينفقه؛ وكيف كان لا يحتفظ منه لنفسه ولا لأهل بيته إلا الكفاية فقط؛ والبقية في الفقراء والمساكين. إنه نبي. ولا أريد استعراض ثمار طاعته وأنها كانت مردودة على المسلمين؛ لم يطلب بناء قصور ولا ملك ولا ثراء؛ لقد مات ودرعه مرهونة في دين.

لا يضلك إبليس؛ وكذلك كثير من الأمور؛ دقق وسترى أن كثيراً من الأوهام التي بثها المنافقون لا أساس لها؛ لكن الله يمحصك فابحث واعرف الحقيقة؛ إنه تمحيص لك برسوله؛ التمحيص فيه تعليم أيضاً؛ فعندما تحترار تبحث عن العلة؛ وستجد أن معرفتك بسنن الله في الابتلاء بالأنبياء - مجرد إرسال بشر - هو تمحيص وابتلاء وفتنة؛ اسمع :

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]؛ أتعرف لماذا؟ أنه الكبر. لم ينظروا إلى دعوة الرسل لإقامة القسط؛ ولم ينظروا في دلائل صدقهم؛ وإنما نظروا إلى أشخاصهم، ونفسوا عليهم النبوات؛ فسقطوا. وهذا ما يريده الله للمتكبر، لا يريده أن يكون من عباده؛ يريد فقط أن يستخلص القلة التي تتخلص من الأمراض القلبية؛ ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً؛ سيجد بنو آدم تعباً شديداً حتى يعرفوا أن الله ليس كالبشر؛ ليس كبني آدم في حب الكثرة والجمهرة والمدح الفارغ؛ إنه الغني؛ يريد القلة المستخلصة فقط.

كل هذا الفساد في الأرض الذي يرتكبه بنو آدم هو جزء من الجهل بالله؛ وهو جزء من ضعف الثقة به؛ من التقدم بين يدي الله ورسوله؛ تذكروا نظرية الفراشة!

كيف بالتكبر والتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أيام النبي؟ وكل العوامل الأخرى؟ فكروا فيها.

مادة أخرى عن نظرية الفراشة؛ تستطيعون منها معرفة لما تم تحويل الإسلام؛ من دين عدل ومعرفة وفطرة وصدق .. إلى أضداد ذلك:

لمن أراد أن يفهم كيف تم حرف الإسلام عن مساره؛ لمن يهمله لماذا نحن وصلنا إلى هذا الوضع. نظرية الفراشة تعلمك عدم الاستخفاف بالأمور الصغيرة؛ فقد تجتمع مع عوامل أخرى فتننتج تغيراً نوعياً، سلبياً أو إيجابياً. تذكروا كبر إبليس ! مجرد

خطأ قد يبدو يسيراً يسهم في إنتاج كارثة كبيرة؛ كتحويل غايات الأديان إلى واقع مضاد؛ لا تعتبط في البدايات، فإنها الأخطر؛ لا تعتمد على تقديرك.

القرآن يشير إلى مضمون نظرية الفراشة في عدة آيات؛ يخبرك بأخطاء البدايات؛ كأخذ الكتاب باستخفاف؛ أو معصية نبي في أمر ما؛ ثم ينتج هذا كوراث مستعصية.

أنت إلى الله لا شيء، أقل من طفل أمام سقراط؛ تصور لو أن سقراط رأى طفلاً فوق عمارة يريد القفز، وقال له لا تقفز؛ الطفل استهان بمعصية سقراط؛ وقفز!

مما تيسر فيه نظرية الفراشة من آيات الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا النَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]

نحن نجهل أثر ذلك، ولا نتصوره، لكن الله يعلم؛ والعلم اليوم قد بُنيت؛ ومنها - وهذه تشملنا - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]؛ هذه أكبر من نظرية الفراشة؛ إنها أمور عظام لا بد أن تنتج هذا الشقاء.. والأهم: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

إسلامنا لم يجد فراشة فقط لينحرف عن مساره؛ ولا نسوراً أو صقوراً؛ أوجد كبراً وكيداً وحسداً؛ وتحريفاً للكلم عن مواضعه؛ وأحلافاً؛ وتخاذلاً.. الخ؛ طبعي؛ واليوم يجد من الناس الكبر نفسه؛ والتخاذل نفسه؛ والكيد نفسه؛ والمكر نفسه؛ والتفاعس نفسه؛ والشرك؛ والنفاق؛ والكذب؛ والأنانية؛ وتركية الذات.. الخ؛ إنه العمى نتيجة تراكم الجهل؛ والجهل نتيجة ذلك الكبر - الذي لا يحب المعرفة - والكبر مبدأ الشرور ومنتج كل الفساد.

لحظة؛ قد يكون مقالنا هذا فراشة! وهكذا فكن؛ حاول ألا تستهين بالأمور الصغيرة؛ فقد تكون فراشات خير ومعرفة؛ وقد يؤخر الله بركتها لضعف الاستعداد الآتي ولتأخذ الأجر كله في الآخرة.